الخميس ■ ١٢ صفحة ■ ٣ جنيهات

www.facebook.com/allewaaaleslami

■ ٢٠ من ربيع الأول ١٤٤٥ هـ ■ ٥ من أكتوبر ٢٠٢٣ ■ الإصدار الثانى السنة الثانية عشرة العدد ٦٠١ تصدر منذ ١٩٨١ ■

رئيس مجلس الإدارة
أحمد جلال



رئيس التحرير
أحمد عطية صالح

تصدر عن


صوت الوطنية

داخل الملحق

- ابن الهيثم .. مؤسس علم البصريات ورائد فكرة النظارة
- القضاء فى الإسلام .. كتاب للمستشار الدكتور محمود الشربينى
- أم حرام بنت ملحان .. شهيدة البحر
- السيدة نفيسة .. نفيسة العلوم صاحبة الكرامات
- قاهرة المماليك والعثمانيين.. بعيون ابن خلدون

المكتبة الإسلامية

٦ صفحات

علماء العصر الذهبى للإسلام

ابن الهيثم

مؤسس علم البصريات .. ورائد فكرة الكاميرا

علماء المسلمين لهم إسهامات كبيرة عبر التاريخ تؤكد أنهم رواد العلوم منذ مئات السنين ومازالت إنجازاتهم، تسهم فى التقدم العلمى حتى عصرنا الحالى .. ومن أبرز هؤلاء العلماء، هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري .. عالم موسوعي عربي مسلم قدم إسهامات كبيرة فى علوم الرياضيات، و البصريات، والفيزياء، وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدمًا المنهج العلمي، وله العديد من المؤلفات والمكتشفات العلمية التي أكدها العلم الحديث.



ملحمة علمية يرويها : رأفت ماهر

وقد كتب ابن الهيثم مجموعة من الكتب التي تتحدث عن أهم المظاهر الطبيعية والظواهر الكونيّة نذكر منها كتابه "نموذج الكون" وكتاب" رؤية الكواكب" ، إلى جانب كتابه" حركة القمر" وكتاب" نماذج حركات الكواكب السبع".

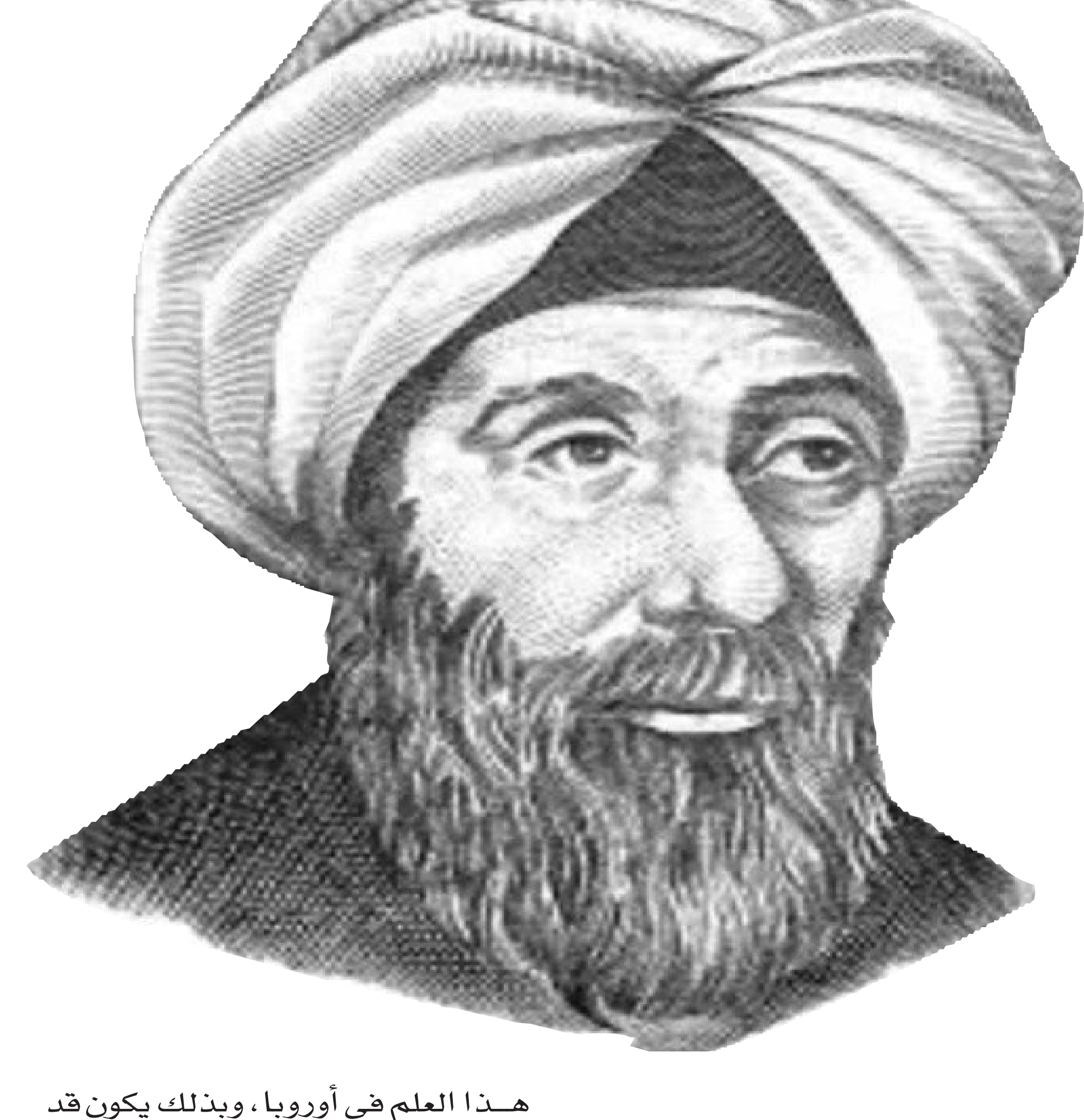
نشأة ابن الهيثم

ولد ابن الهيثم عام (354 هـ/965م) بالبصرة جنوب العـراق، وفيها تلقى علومـه، وعاصر علماء عصـره وهم : «الفارابـي» و«الكندي» و«الخوارزمي» و«الـرازي». عرف ابن الهيثـم بزهْده وعكوفه على العلم دراسةً وتدريسًا، وقد أقامَ بالشـام، واشتغل بالتصنيفِ والتأليـف ونسـخ الكُتب،انتقـل إلـى مصـر حيـث أقام فـي القاهـرة حتى وفاتـه. وذكرته معظم المصادر باسـم الحسـن بـن الهيثـم شـيخ البصـرة ومهندسها، كما عرف في أوروبا بلفظ «Al Hazen».

مؤسس علم البصريات

يعد ابـن الهيثم المؤسس الأول لعلم البصريـات ومـن رواد المنهج العلمي، وضع ابن الهيثم أسس البحث العلمي وقواعده، وطبقها وسـار على خطاها فـي كل أبحاثـه وتجاربـه ونظرياته، فمنـذ القـرن العاشـر الميـلادي كان المفهوم السـائد عـن الابصـار هو أن العين ترسل أشـعة خاصةً تسقط على الأجسـام فتسـبب رؤيتها، وهو الأمر الذي أكـد على بطلان عمليا بالأدلة الدامغة الفيزيائي العربي الموسـوعي «الحسن بن الهيثم» ، ونبغ ابن الهيثم في علـم البصريـات وطوره تطويرا جذريـا، واحـدث كتابـه «المناظـر» ثورة فـي عالم البصريـات. وفي ذلك يقول ابن الهيثـم: «ابتدأت في البحث واسـتقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات، والتقطت باسـتقراء ما يخص البصر فـي حـال الإبصـار، ومـا هـو مطرد ولا يتغير وظاهر لا يشـتبه فـي كيفية الإحسـاس، ثـم ارتقيت فـي البحث والمقاييس على التـدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ بالنتائج... ثـم أخـذت بالتمثـيل أي التطبيـق». وبذلـك يكـون ابـن الهيثـم قد سـبق فرانسوا بيكون بقرون في وضع قواعد البحث العلمي.

أمضى ابن الهيثم معظم حياته بالقاهرة ، وهناك ذكر أنه بعلمه بالرياضيات يمكنه تنظيم فيضانات النيل، عندئذ، أمره الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بتنفيذ أفكاره



انجازات ابن الهيثم

وردفى الموسوعة البريطانية كتب ابن الهيثم في تشريح العين وفي وظيفة كل قسـم، كما بين كيف ننظر إلى الأشياء بالعينين في آن واحد، وأن الأشـعة من النـور تسـير من الجسـم المرئـي إلى العينين، ومن ذلـك تقع صورتان على الشبكية في محلين متماثلين».

كـما بحـث فـي قـوة التكبيـر فـي العدسـات ممـا جعلـه المبـدع الرائد لفكرة أول نظارة فـي العالم، والممهد الأول الذي سـاعدت بحوثه البصرية على إصلاح عيـوب الإبصار في العين وتعديلها.

وهو أول مـن وضع مبدأ آلة التصوير أو الكاميرا. كما وضع قوانين الانعكاس والانعطـاف وغيرهـا، وأوجـد تعليلا لانكسار الضوء الذي يحدث عن طريق الأوسـاط، كالهـواء والمـاء والزجـاج. ووضع ابن الهيثم قانون الارتداد الذي كان لـه أثـر ميكانيكي رائـع في تقدم هـذا العلم في أوروبا، وبذلك يكون قد سبق إسـحاق نيوتن في تعليل انعكاس الضوء من وجهة نظر ميكانيكية .

كـما يعد ابـن الهيثـم أول من درس عدسـة العين وأقسـامها وتشريحها، ورسـمها وأطلق عليها أسـماء أخذها الغرب، أو ترجموها إلى مختلف لغاته، منهـا: القرنيـة (Cornea) والخلـط الزجاجـي (Vitreous Humour) والشـبكية (Retina) والخلـط المائي (Aqueous Humour) .

أشهر المؤلفات

كتـاب المناظر: يعتبر هذا الكتاب من أشـهر المؤلفـات التي قام ابـن الهيثم بكتابتها، تمت ترجمة هذا الكتاب الي اللغة اللاتينية؛ الأمر الذي جعل لهذا الكتاب أثراً كبيراً على العلوم الغربية. كتاب ميزان الحكمـة: والذي تحدث فيـه عن العدل وأسـباب الحكمة، إلى جانـب ذكـره لعدد مـن الأمـور التي تساعد على ازدهار ورقي الشخص.

كتاب تصويبات على المجسطي.

كمـا أنّه كتـب عدداً مـن الكُتب التي تحـدّث فيها عـن كل ما يتعلّـق بأمور الشفق سماه باسم" رسالة في الشفق" ونظـراً لشـدة ايمـان ابـن الهيثـم تصديقـاً منـه للعقيـدة الشـرعية الإسـلامية ألف كتاباً تحـدث فيه عن أهـم الأمـور التـي تتعلق فـي الصلاة وسـماه" كتـاب كيفيـة تحديـد اتجاه القبلة".

ظهر اهتمام ابن الهيثم في الفلسفة من خلال العديد من كتاباته من أهمها كتابـه الـذي احتـوى علـى مجموعـة مـن الـردود التي جـاءت للفلاسـفة اليونانيين وعلماء الكلام.

هذا وقـد كتب ابن الهيثـم مجموعة مـن الكتـب التـي تتحـدث عـن أهم المظاهر الطبيعيـة والظواهر الكونيّة نذكـر منها كتابـه" نمـوذج الكـون" وكتـاب" رؤيـة الكواكـب" ، إلى جانب كتابه" حركـة القمر" وكتـاب" نماذج حركات الكواكب السبع".

كما أنّ له عدداً من الكتب التي تناول فيهـا العديـد مـن المواضيـع التي لها علاقـة في مجـال الرياضيات ككتاب "أصول ...

...في المكان"، إلـى جانب كتابه الذي لقي ترحيباً كبيراً وهو كتاب" شـكوك على بطليموس" وكتابه" الشكوك في الحركات المتعرجة".

وفاة ابن الهيثم

امضـى ابـن الهيثـم معظـم حياته بالقاهـرة ، وهنـاك ذكـر أنـه بعلمه بالرياضيـات يمكنه تنظيم فيضانات النيل، عندئذ، أمره الخليفة الفاطمي الحاكـم بأمـر اللـه بتنفيـذ أفـكاره تلـك. إلا أن ابن الهيثم صُدم سـريعاً باسـتحالة تنفيذ أفكاره، وعدل عنها، وخوفًا علـى حياتـه ادعـى الجنون، فأجبر علـى الإقامة بمنزلـه. حينئذ، كرّس ابن الهيثـم حياته لعمله العلمي حتى وفاته عام ... (430 هـ 1040م)

رؤيـــة ورأى

بقلم : احمد هاشم

من السنن النبوية المهجورة.1

السنن المهجورة هي ما شاع تركه بين المسلمين من سنة نبيهم ﷺ..و أحياء هذه السنن من الواجبات الهامة لكل مسلم والعمل بما كان يفعله النبى ﷺ و ما شرعه لأمته..ويدخل فى نطاق احياء هذه السنن العلم بها و تعليمها و تذكير الناس بها والتحذير من مخالفاتها.. يقول رسول الله ﷺ (من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا). ومن السنن المهجورة الكثيرة التى كان يقوم بها النبى الكريم ﷺ:

❖كثرة الإستغفار فى المجالس

❖التكبير والتسبيح عند التَّعجب أو الاستنكار

❖التصدق عند التوبة

❖لعق الأصابع قبل مسحها أو غسلها بعد الأكل.

❖التنفس عند الشرب ثلاث مرات

❖الدعاء بعد شرب اللبن فيقول رسول الله ﷺ (ليس شيء يجزئ مكان الطَّعام والشَّراب غير اللَّبن)

❖العدول عن الأمر المحلوف عليه للمصلحة مع الكفارة يقول النبى ﷺ (من حلف على يمين؛ فرأى غيرها خيراً منها؛ فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه(.

❖استحباب التصدق عند التوبة من الذنب.

❖عدم سحب اليد عند المصافحة قبل أن ينزعها المصاحب.

❖منع خروج الأطفال من المنازل عند قدوم الليل وتغطية الأوانى فى الليل.. قال ﷺ (إذا كان جنح الليل أو أمسيتم، فكفُّوا صبيانكم؛ فإنَّ الشَّيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل، فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإنَّ الشَّيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أنَّ تعرضوا عليه شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم).



• كتاب للمستشار الدكتور محمود الشربينى نائب رئيس مجلس الدولة السابق

عرض: أحمد هاشم



يعرض الكتاب تعريف القضاء فى الاسلام و احكامه وشروط اختيار القاضى حسب الشريعة الإسلامية.

أصل القضاء

يقول المؤلف أن الأصل في القضاء ومشروعيته ذكر فى الكتاب والسنة والإجماع :

1 - أما الكتاب فقول الله تعالى : (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، الآية رقم (٢٦) من سورة (ص) ...وقوله تعالى : (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله) الآية رقم (٤٩) من سورة (العنكبوت) وقوله تعالى : (وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ؛ الآية رقم (٤٨ (من سورة (النور) .وقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) الآية رقم (١٥) من سورة (النساء) .

٢ - فأما السنة فما روى عمرو بن العاص عن النبي أنه قال إذا إجتهد الحاكم (القاضي فأصاب فله أجران وإذا إجتهد فاخطأ فله أجر) .

-3 وأجمع المسلمون على مشروعية نصب (إقامة) القضاء والحكم بين الناس.

مكانة القضاء

و اشار الى أن للقضاء مكانة كبيرة في الإسلام - فمن بين ما كلف الله به الرسل القضاء فقال تعالى (فأحكم بينهم بما أنزل الله) الآية رقم (٤٨) من سورة (العنكبوت) ....كما قال (فإن حكمت فأحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) الآية رقم (٤٢) من سورة (المائدة) ...وقال تعالى : (يا أيها الناس كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين) الآية رقم (٢٥) من سورة (النساء) ...وقال (ولا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى وإتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (الآية رقم (٨) من سورة (المائدة) .

وقال النبي ﷺ (ما من أحد أقرب مجلساً من الله بعد ملك مصطفى أو نبي مرسل من إمام عدل) والمقصود بذلك الحاكم العادل والقاضي العادل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (لأن أقضي يوماً بالحق أحب إلى من عبادة سبعين عاماً) .

وكما كرمت الشريعة الاسلامية القاضي العادل حذرت من القاضي الجائر الذي يتبع هواه فقال سبحانه وتعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) ..(الآية ١٥) من سورة (الجن) ...وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله مع القاضي ما لم يجر فاذا جار وكله إلى نفسه) ...وقال رسول الله ﷺ (القضاه ثلاثة إثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضي به فهو في الجنة ورجل قضي للناس على جهل فهو في النار ورجل جار في الحكم فهو في النار) .

حكمة القضاء

وأكد أن حكمة القضاء إنصاف المظلومين وردع الظالمين وحسم النزاع الذي ينشب بين الناس من حين لآخر فالمجتمعات البشرية على إختلاف زمانها ومكانها لا تخلو من الأسباب التي تفضي الى المنازعات بالغة ما بلغت من درجة في العلم أو في مظاهر الحضارة الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة وجود القضاء لفض هذه المنازعات.

حكم القضاء

و قال أن القضاء فرض كفاية بمعنى أنه لا يلزم بمزاولته سائر الناس وإنما يتولاه الكفء المستوف لشروط تولي القضاء فإذا تم ذلك سقط هذا الفرض عن سائر المكلفين.

وإذا توافرت شروط توليه القضاء في عدد من الناس قام الحاكم بالإختيار من بينهم لتوليه القضاء فإذا توافرت هذه الشروط في أحد من رجال العلم ولم يوجد سواه ورفض القضاء فإن الحاكم له أن يجبره على ذلك.

وفي القضاء خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤد الحق فيه ولذلك كان السلف رحمة الله عليهم يمتنعون عنه أشد الامتناع ويخشون على أنفسهم خطره .

قال خاقان بن عبد الله (أريد أبو قلابة على قضاء البصرة فهرب الى اليمامة فأريد على قضائها فهرب إلى الشام فأريد على قضائها) وقيل له (ليس ههنا غيرك) .قال (فأنزلوا الأمر على ما قلتم فإنما مثلي مثل سابح وقع في البحر فسبح يومه فإنطلق ثم سبح اليوم الثاني فمضى أيضاً فلما كان اليوم الثالث فترت يداه) ...وكان يقول (أعلم الناس بالقضاء أشدهم كراهة له) ولعظم خطره قال النبي ﷺ (من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين) ومؤدى ذلك أنه لم يقصد به الذم في القضاء وإنما وصفه بالمشقة فكأن من تولاه قد حمل على مشقة كمشقة الذبح.

وقيل أن أبا حنيفة رضي الله عنه دعى إلى القضاء ثلاث مرات فأبي حتى ضرب في كل مرة ثلاثين سوطاً فلما كان في المرة الثالثة قال (حتى أستشير أصحابي) فإستشار أبا يوسف صاحبه في المذهب والذي تولى القضاء فقال له (لو تقلدت لنفعت الناس) فنظر إليه أبو حنيفة نظرة الغضب وقال (أرأيت لو أمرت أن أعبر سباحة أكنت أقدر عليه وكأني بك قاضياً) ...وكذلك دعى محمد صاحب أبي حنيفة إلى القضاء فأبى حتى قيد وحبس وإضطر فتقلده.

وفي رواية أن إبن عمر قال لعثمان رضي الله عنه (لا أقضي بين رجلين) فقال له (إن أباك كان يقضي) ..فقال (إن أبي كان لو أشكل عليه شي سأل رسول الله ﷺ ولو أشكل على رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام وإني لا أجد من أسأله وسمعت رسول الله ﷺ: يقول (من عاذ بالله فقد عاذ بعظيم) وسمعته يقول (من عاذ بالله فأعيذوه) (وإني أعوذ بالله أن تجعلني قاضيا) فأعفاه عثمان رضي الله عنه من تولي القضاء وقال (لا نجبر أحداً) .

الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى القضاء

قال عبد الحميد بن يحيى - أعظم كتاب العصر الأموي – في رسالته التي كتبها إلى ولي العهد يبين له فيها السياسة الصالحة التي يجب أن يسير عليها : (فليكن من توليه القضاء في عسكرك : من ذوي الخير في القناعة ، والعفاف ، والنزاهة ، والفهم، والوقار ، والعصمة .والورع والبصر بوجوه القضايا للولاية ومواقعها .قد حنكته السن ، وأيدته التجربة .وأحكمته الأمور ممن لا يتصنع للولاية .ويستعد للنهزة ويجترئ على المحاباة في الحكم ، والمداهنة في القضاء ، عدل الأمانة ، عفيف الطعمة حسن الإنصات فهيم القلب .ورع الضمير .متخشع السمت . بادي الوقار ، محتسباً للخير) .

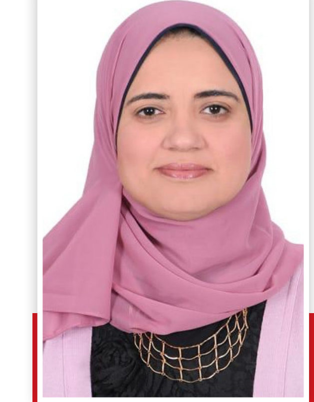
وقال عبد الله بن الحسن العنبري - قاضي البصرة - في رسالته الشاملة إلى الخليفة المهدي : (فأما الحكام (القضاة) فقد علم أمير المؤمنين - إن شاء الله - أدنى مأموله أن يكون في الحاكم الورع والعقل .فإن أحدهما إن أخطاه لم يقمه أهل العلم وإختيار ما يشار به عليه في ذلك ، فإن كان له - مع ذلك - فهم وعلم من الكتاب والسنة ، كان بالغاً ، فإن كان مع ذلك ذا حكم .وصرامة ، وفطنة بمذاهب الناس وغوامض أمورهم التي عليها يتظالمون فيما بينهم وبها يقارعونه عن دينه ودنياه. كان ذلك هو الكامل التام ، فإذا وجد أحد أولئك فإستعن به ، وثبت نعله وأعل كعبه ، وشد ظهره وآزره ، وأنفذ حكمه ، وأسبغ عليه وعلى أعوانه وكتابه من الأرزاق، فإن الحكم مهيمن على سائر الأعمال مقدم بين يديها ، إمام لها وحكم عليها .

وينبغي أن يتوافر فيمن يولى القضاء شروط عديدة وقد أوجزت مجلة الأحكام العدلية شروط القاضي في عبارة مختصرة بليغة فقد نصت المادة (١٧٩٢) منها على ما يأتي : (ينبغي أن يكون الحاكم (القاضي) : (١) حكيماً . (٢) فهيماً (٢) مستقيماً (٤) أميناً . (٥) مكيناً . (٦) متيناً.





أم حرام بنت ملحان.. شهيدة البحر



تقدمه ـ أروى حسن

صحابية جليلة، عرفت بحبها للعلم والجهاد، وتعتبر من رواة الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهى أول امرأة ركبت البحر في الاسطول الإسلامي لغزو بلاد الروم وتوفيت بها، وكان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قد بشرها بذلك، إنها السيدة «أم حرام بنت ملحان»، زوجت الصحابي عبادة بن الصامت «رضى الله عنهما» كانت من السابقات الى الاسلام من أهل المدينة المنورة، حتى أنها أسلمت قبل هجرة الرسول «صلى الله عليه وسلم» اليهم، ويقال أنها من محارم الرسول «صلى الله عليه وسلم»، كما أنها شاركت في العديد من الغزوات في عصر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وبعد وفاته.

> كانت تتميز أم حرام بالشجاعة وحب الجهاد فقد شاركت مع زوجها في غزوات عديدة منها أحد وحنين والخندق وفتح مكة والطائف، كما أنها طلبت من رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصارية من أهل المدينة المنورة، قيل أن اسمُها الغُميصاء، وقيل الرُّميصاء، ولكن لا يعرف لها أسم غير «أم حرام» وسميت بذلك على اسم أخيها حرام، وهي أخت أم سليم، وخالة الصاحبي أنس بن مالك «رضى الله عنهم أجمعين»، وزوجة الصحابي عبادة بن الصامت «رضى الله عنه» ولها من الأخوة اثنين، «سليم وحرام» «رضى الله عنهما» اللذين شهدا بدراً وأحداً.

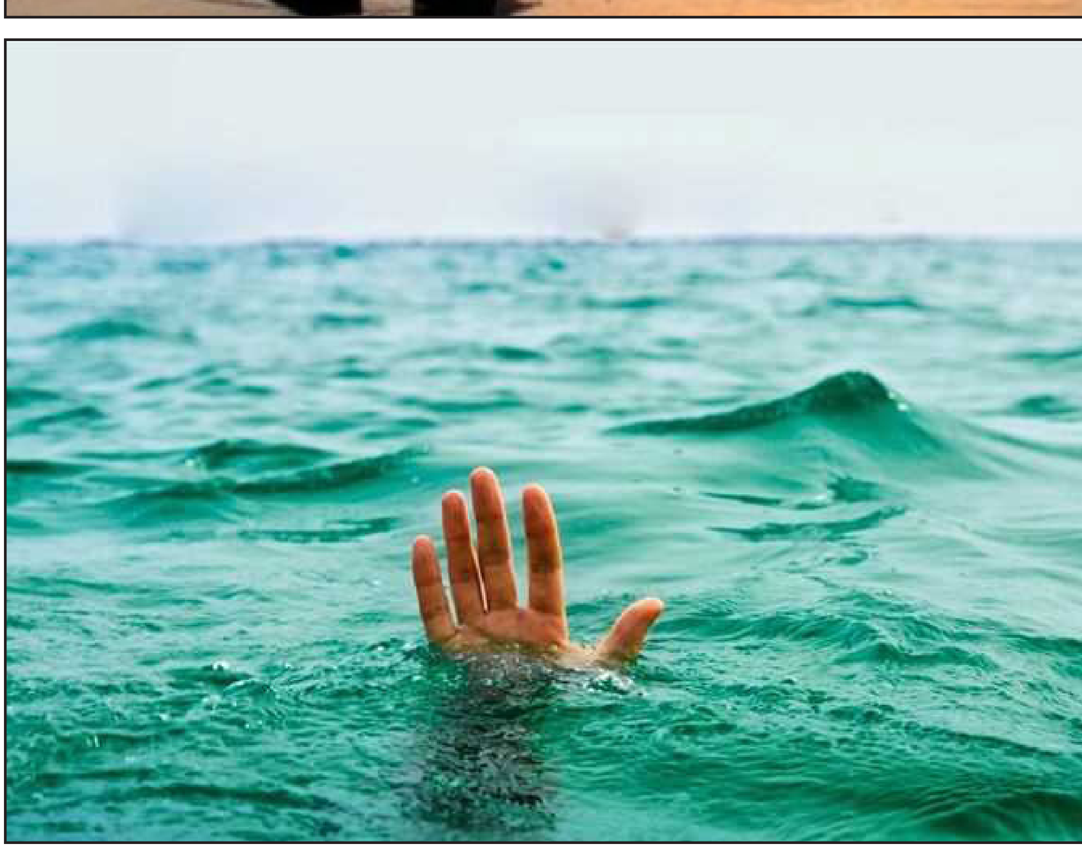
رجاحة العقل

قبل هجرة الرسول «صلى الله عليه وسلم» الى المدينة المنورة وبالتحديد في موسم الحج، عرض الرسول «صلى الله عليه وسلم» نفسه على القبائل القادمة من أنحاء الجزيرة العربية، حتى يعرفهم على الدين الجديد، وكان من بين الذين لقيهم من أهل يثرب «المدينة المنورة»، أخواله بني النجار منهم حرام بن ملحان، وعبادة بن الصامت، «أخوها وزوجها»، فشرح الله صدورهم للاسلام، وآمنوا بالله ورسوله «صلى الله عليه وسلم»، وقرأ عليهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بعض من آيات القران الكريم، فصاروا يرددونه في مجالسهم، وينشرونه في أهل المدينة بعد عودتهم إلى ديارهم، وسمعهم الكثير من أهل بلدهم، وكان من بينهم أم حرام وأختها أم سليم فتجاوبا معهم، فكانتا من أوائل المسلمات في المدينة المنورة، وفي الموسم التالى للحج حضر من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في العقبة وكانت «بيعة العقبة الأولى»، وعرفوا بالنقباء الاثنى عشر ومن بينهم عبادة بن الصامت، وكانت أم حرام «رضي الله عنها» من محارم النبي «صلى الله عليه وسلم» من قبل خالاته؛ لأن أم عبد المطلب كانت من بني النجار، وقيل: كانت إحدى خالاته «صلى الله عليه وسلم» من الرضاعة.

عرفت السيدة أم حرام بعلمها وفقها ورجاحة عقلها، حتى قال عنها صاحب السير كانت من علية النساء وحدث عنها أنس بن مالك وغيره «رضى الله عنهم أجمعين»، وكان لها مواقف كثيرة مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» منها ما ورد عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بن مالك، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ «صلى الله عليه وسلم» مَا هُوَ إِلاَّ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي أُمُّ حَرَامٍ، فَقَالَ: «قُومُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ». فَصَلَّى بِنَا فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ، وكانت من رواة الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقد روت عنه «صلى الله عليه وسلم»: قوله «أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»

حرب البحر

كانت تتميز أم حرام بالشجاعة وحب الجهاد فقد شاركت مع زوجها في غزوات عديدة منها أحد وحنين والخندق وفتح مكة والطائف، كما أنها طلبت من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يدعو لها أن تكون من الغازين في البحر برغم عدم خبرة العرب في حروب البحار، فورد ذلك في قول رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلَّى الله عليه وسلَّم» دَخَلَ مرَّةً على أمِّ حرام بنت ملحان رَضِيَ اللَّهُ عنها - يقال: اسمها الغُميصاء، ويقال الرُّميصاء - فأطعمته، ثُمَّ جعلت تَفْلِي رأسه «صلَّى الله عليه وسلَّم»، فنامَ «صلَّى الله عليه وسلَّم»، ثُمَّ استيقظ وهو يَضحَك، فسألته أمّ حرام رضي الله عنها عن سبب ضَحِكه، فقال لها: إنَّه رأى في المنام رُؤيا - ورؤيا الأنبياء حَقٌّ ووَحْيٌ من اللهِ سُبحانه - وإنَّه رأى ناسًا من أُمَّته خرجوا في الغزو يركبون «ثَبَجَ هذا البَحْرِ» أي: وَسَطَ البَحرِ وظَهْرَه، كأنَّهم مِثلَ المُلوكِ على أسِرَّتِهم؛ لاتِّساع السُّفنِ التي يَركَبونها، وفي هذا بُشرى منه «صلَّى الله عليه وسلَّم» باتِّساع مُلْكِ أُمَّتِه حتى يركبوا غُزاةً في البَحرِ، فيَعْبُروا منه إلى البِلادِ التي وراءه، فيفتحونها، فسألت أُمُّ حرامٍ النَّبيَّ «صلَّى الله عليه وسلَّم» أن يدعو لها الله أن يجعلها منهم، فدعا لها رسول الله «صلَّى الله عليه وسلَّم»، ثُمَّ وضَع رأسه مرةً أخرى، ثُمَّ استيقظ وهو يَضحَك، فسألته أُمُّ حرام «رضي الله عنها» عَن سَبب ضَحِكه، فقال لها مثل ما قال في المرَّة الأولى، فكَرَّرَت عليه طلَبَها بأنْ يَدعوَ لها أن تكون منهم، فقال لها النَّبيُّ «صلَّى الله عليه وسلَّم»: «أنتِ من الأوَّلِين»، أي: من أوَّل من يكونُ على هذه السُّفن في وَسَطِ البحر، فلمَّا كان زمانُ امارة مُعاوية بن أبى سفيان «رضي الله عنه» رَكِبت أمُّ حرام «رضِيَ اللهُ عنها» البَحْرَ في غزو الرُّوم، فصُرِعَت عَن دابَّتِها حين خرَجَت من البَحر فهَلَكَت، وذلك في خلافة عثمان بن عفان «رضى الله عنه» سنة 28 أو 27 هجرية.



> عندما كان معاوية بن أبى سفيان أمير على بلاد الشام، كان أول من أشار بصُنع الأُسطول الإسلاميّ، وهو أوّل من تأمَّر عليه وكان ذلك في زَمَن خلافة عُثمانَ «رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعينَ»

وفاتها في قبرص

عندما كان معاوية بن أبى سفيان أمير على بلاد الشام، كان أول من أشار بصُنع الأسطول الإسلاميّ، وهو أوّل من تأمَّر عليه وكان ذلك في زَمَن خلافة عُثمان «رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين»، وكانت هذه المرة إلى بلاد الروم وبالتحديد قبرص حيث أن معاوية «رضى الله عنه» كانت معه زوجته «فاختة بنت قرظة بن بنى نوفل بن عبد مناف» وكان معهم في تلك المعركة عبادة بن الصامت وزجته أم حرام «رضى الله عنهما»، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص خرجت من البحر، فقربت إليها «زوجة معاوية» دابة لتركبها فصرعتها فاندقت عنقها فماتت، وذلك بقبرص سنة 27 ودفنت بها.

وتشير بعض الروايات إلى أنها دفنت في البقة التى وقعت فيها عن بغلتها، في هذه المنطقة بُنِيَ عليها «مسجد لارنكا الكبير» ويعرف باسم قبر المرأة الصالحة، وقد تم اكتشاف قبر الصحابية الجليلة أم حرام عام 1760م من قبل رجل يُدعى الشيخ حسن.



السيدة نفيسة رضى الله عنها نفيسة العلوم.. صاحبة الكرامات



كتاب للكاتبة الاسلامية ريحاب محمد الباحثة فى الدراسات الإسلامية وعلوم التصوف يرصد مواقع آل البيت فى أرض مصر

اشتهرت بالعلم والفقه وسعة المعرفة وكثرة العلوم وسعة العقل والذكاء والافق الواسع ..ولذلك لقبت بنفيسة العلوم ..صاحبة الكرامات اعطاها الله الكثير من النفحات كانت تقية ورعة ، اشتهرت بنشر العلم ..وهبها الله فيضا من العلوم ..تتلمذ على يديها الكثير ولاسيما من العلماء ايضا واشهرهم الامام الشافعى الذي كان حريصا على حضور مجلسها ﵟ العلم عندما جاء مصر..اختارت مصر وعاشت فيها ..واحبها المصريون وتباركوا بها ..وبعدما انتقلت للرفيق الاعلى رفض المصريون ان تغادر مصر وطلبوا من زوجها اسحاق المؤتمن ان تدفن بها ..لانها هى التى حفرت قبرها بيدها وكانت تقرأ فيه القران .. وبالفعل تركها زوجها بمصر بعدما رأى رؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنها ﵟ مصر.. وقبرها الان هو مسجدها الشهير الذي ياتي اليه الناس من كل مكان للدعاء والتبرك..وعن تفاصيل حياة السيدة نفيسة رضي الله عنها نتعرف عليها من حلال كتاب (ال البيت ﵟ ارض الكنانة) للكاتبة الاسلامية ريحاب محمد الباحثة ﵟ الدراسات الاسلامية وعلوم التصوف.

رزقت السيدة نفيسة من زوجها اسحق المؤتمن بولد و بنت اما الولد فهو القاسم بن اسحق المؤتمن و اما البنت فهي أم كلثوم بنت اسحق المؤتمن و هما ذرية صالحة من اسرة صالحة اشتهرت بالتقوى و الورع و الكرامات

من هى السيدة نفيسة رضي الله عنها ؟

هي السيدة نفسية بنت الإمام حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب

ميلادها : ولدت في يوم الأربعاء الموافق 11 ربيع الأول لسنة 145 هجريا في مكة المكرمة و توفيت في رمضان 208 هجريا و دفنت في القاهرة

نسبها: أبوها الحسن الأنور بن زيد الابلج بن الحسن بن علي بن ابي طالب و امها زينب بنت الحسن بنت الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه و قيل أن امها أم ولد فرح بها ابوها عند مولدها و اسماها باسم أخته نفيسة بنت زيد التي تزوج بها الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ووفدت هذه العمة الي مصر و توفيت بها

تعليمها :

اهتم أبوها بتربينها و تعليمها و حرص عليه و توسم فيها أن سيكون لها شأن عظيم تولى ابوها إمارة المدينة في عهد العباسيين و انتقل اليها مع اسرته و هي في سن الخامسة و كان أبوها يأخذها من الصغر الي المسجد النبوي و يذهب بها الي الروضة الشريفة و يقف تجاه القبر النبوي الشريف الطاهر مخاطبا سيدنا المصطفي صلي الله عليه و سلم في شأن ابنته نفيسة حتي رأى في المنام رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول له يا حسن إني راض عن ابنتك نفيسة و الله سبحانه راض عنها برضاي عنها و كانت تذهب الي المسجد النبوي و تسمع من شيوخه و تتلقى الحديث و الفقه من علمائه حتي لقبها الناس بلقب نفيسة العلم قبل ان تصل لسن الزواج كل هذا النبوغ كان منذ الصغر و قد حفظت القرآن الكريم و هي دون الثامنة من عمرها و تعلمت القراءة و الكتابة و تفقهت في دينها حتي اصبحت حجة فهي نفيسة العلم و المعرفة و روت الحديث عن ابيها و آل بيتها و علماء عصرها و من العلماء الذين تلقت عنهم الامام مالك بن أنس و هو إمام المدينة و كان من عادته أن يتصدر مجلس العلم في مسجد الرسول صلي الله عليه و سلم و علي يمينه الموطأ الذي ألفه في حديث رسول الله و كان يجتمع حوله العلماء و طلاب العلم و كانت أحاديثة تصل الي أرجاء المدينة و يصل صداها الي السيدة نفيسة رضي الله عنها

زواجها

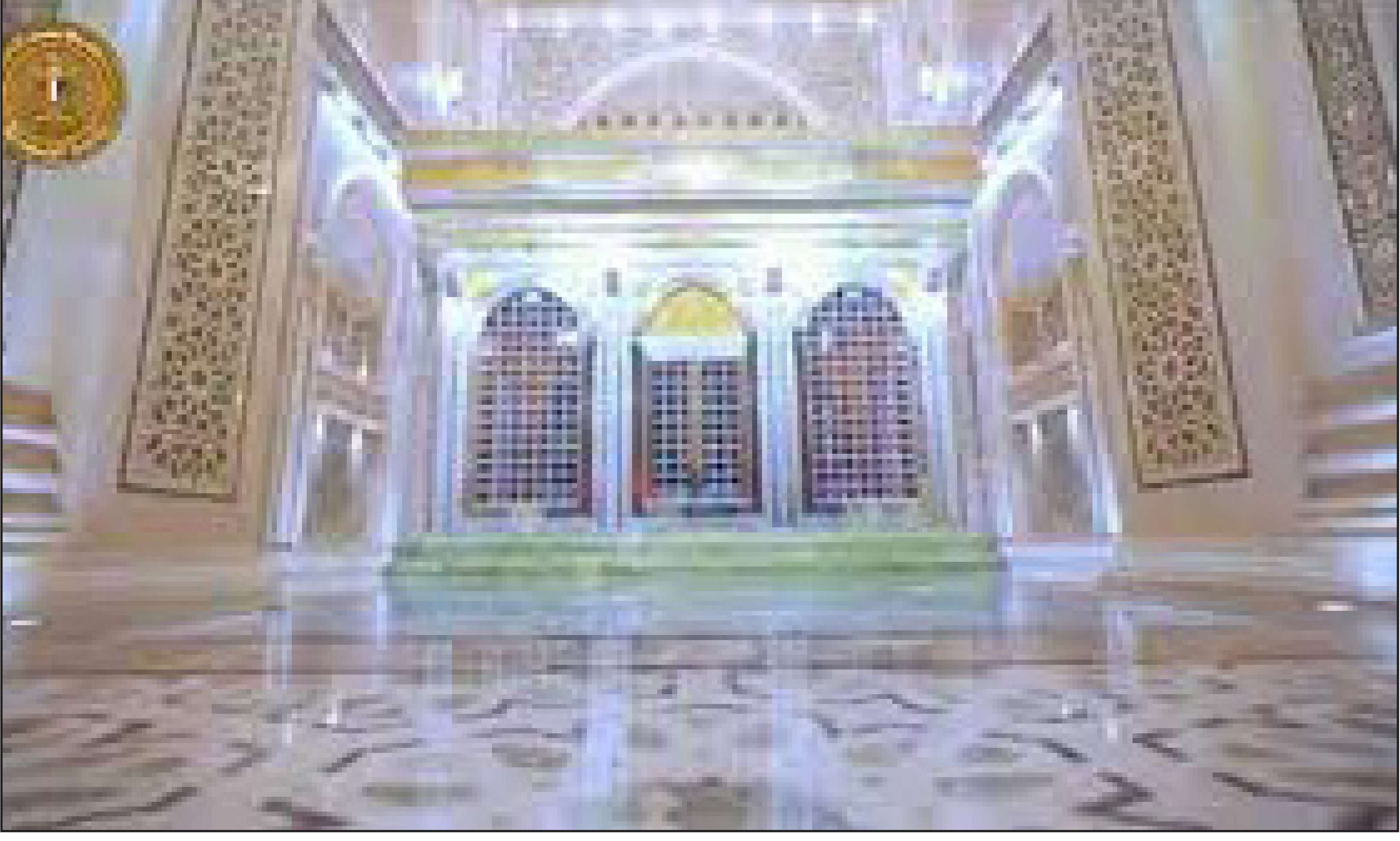
تقدم الكثيرون للزواج من السيدة نفيسة لدينها و عبادتها و علمها و اخلاقها و ألهم الله سبحانه وتعالي ابوها بأن يزوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين و تم الزواج في رجب 161 هجريا فأنجبت له قاسم و أم كلثوم

أسفارها :

زارت السيدة نفسية الشام و ذهبت الي مدينة الخليل حيث كانت تتمني الذهاب لهذه الزيارة حتي تقف في محراب الخليل و تحقق لها ذلك و هناك دعت الله تعالى أن يهبها التوفيق في العبادة و العلم و التقت في الشام بكثير من العلماء الذين استفادت من علمهم بجانب ما تلقته في الحجاز من قبل و من الشام جاءت الي مصر و لما علم اهل مصر بقدومها خرجوا لاستقبالها في العريش ووصلت الي القاهره في 26 رمضان 193 هجريا و فرح بها أهل مصر و استقبلوها احسن استقبال و اقبلوا عليها يلتمسون منها العلم و البركة و النفحات حتي كادوا يشغلونها عما اعتادت عليه من عبادات و قراءات فخرجت عليهم قائلة : (كنت قد اعتزمت المقام عندكم غير أني إمرأة ضعيفة و قد تكاثر الناس حولي فشغلوني عن أورادي و عبادتي و جمع زاد معادي و قد زاد حنيني الي روضة جدي المصطفي ففزعوا لقولها و رفضوا رحيلها حتي تدخل و الي مصر السري بن الحكم و قال لها يابنة رسول الله إني كفيل بإزاله ما تشتكين منه فوهبها دارا واسعا و حدد يومين في الأسبوع يزوها الناس فيهما فرضيت و بقيت و قيل انها أول ما نزلت في مصر عند رجل من كبار التجار من محبي آل البيت اسمه جمال الدين بن عبد الله الجصاص و كان من اهل الصلاح و التقوى و وفر لها دارا اقامت فيها معززة مكرمة و حين عزمت علي الرحيل تدخل ولي مصر السري بن الحكم و عمل علي إبقاءها ووهبها الدار الواسعة التي تسعى الناس لمقابلتها .

إلتقاؤها بالإمام الشافعي

و لما حضر الامام الشافعي الي مصر سنة 198 هجريا كان يذهب للسيدة نفيسة و توثقت صلته بها و كان يصلي بها النراويح في شهر رمضان و كانت تناقشه في العلم و



يروي عنها بعض الاحادث و كان إذا مرض يرسل اليها أن تدعوله فتدعوله فيستجيب الله دعائها و يشفيه من مرضه حتي كان في مرض موته ارسل لها فقالت : احسن الله لقاءه ففهم انها تنعي اليه نفسه فأوصى بأن تصلي عليه و حين بلغها وفاته قالت رحمه الله لقد كان يحسن الوضوء و هذه العبارة ليست بسيطة فقد لا يفمها البعض و لكن معناها عظيم لان من اتقن الاساس اتقن كل شيئ بعده و حملت جنازته بعد أن صلت عليها الي بيتها فصلت عليه كما اوصى و كان يلتقي بها في مصر الكثير من علمائها الاجلاء مثل ابي الفيض ثوبان بن ابراهيم المعروف بذي النون المصري المشهور بالورع و الصلاح و كذلك الامام عبد الله بن عبد الحكم وولديه محمد و عبد الرحمن و هم من أئمة الفقه و الحديث و كذلك الامام البويطي أبي يعقوب يوسف بن يحيي المصري و هو من اعظم من ورث الامام الشافعي و حل محله بعد وفاته و هو ايضا احد ممن امتحنوا في فتنة القول بخلق القرآن و مات في سجن المتوكل في بغداد سنة 231 هجريا و غير هؤلاء الكثير من العلماء .

شخصيتها و عبادتها

عرف عنها زهدها و حسن عبادتها و عدلها فيروى انها كانت تمضي اكثر وقتها في المسجد النبوي تتعبد و تروي زينب ابنة اخيها يحي المتوج قائلة : خدمت عمتي نفيسة اربعين عاما فما رأيتها نامت بالليل ولا افطرت إلا في العيدين و ايام التشريق فقالت لها اما ترفقين بنفسك قالت كيف ارفق بنفسي و أمامي عقبات لا يقطعهن الفائزون و قالت ايضا فكانت عمتي تحفظ القرآن و تفسرة و كانت تقرأ القرآن و تبكي حتي توفيت و هي تقرأ القرأن كانت تتلو سورة الانعام و كانت صائمة في رمضان و حاولوا ان يحملوها علي ان تفطر نظرا لمرضها فقالت عجبا لكم انا لي ثلاثون عاما ادعو الله ان يقبضني و انا صائمة فحين تلوح الفرصة تطلبون من ان أفطر ووصلت الي قوله تعالي (لهم دار السلام عند ربهم و هو وليهم بما كانوا يعملون) (الانعام :الاية127) ففاضت روحها الطاهرة .

و من سمات شخصياتها ايضا انها كانت تقية ورعة صابرة خاشعة سخية تحب الخير للناس و ترغي في خدمتهم و قد اكرمها الله تعالي ببعض المناقب و امدها بالكرامات و بعض الخوارق قالت السيدة زينب بنت اخيها ايضا كانت لعمتي نفيسة سلة معلقة امام مصلاها فكلما اشتهت شيئا وجدته في السلة و قالت كنت اجد عندها مالا يخطر بخاطري ولا خاطر احد ولا اعلم من اين يؤتي به فعجبت من ذلك فقالت لي يا زينب من استقام مع الله تعالي كان الكون كله بيده و في استطاعته و كذلك كانت في قمة الزهد و العفة و التواضع و الحياء و الكرامة و كانت من ارعى الناس لحقوق الزوج فلم يشغلها العلم و العبادة و السعي في قضاء حاجات المعوزين و القاصدين بها عن حقوق زوجها و رعايته و رعاية اولادها كذلك فزوجها اسحاق المؤتمن تزوجها و كانت في السادسة عشر من عمرها و صحبها في رحلتها الي الشام ثم مصر و كانت له نعم الزوجة و كان لها نعم الزوج و كان تقيا ورعا عابدا كريما عطوفا عليها و علي اسرتها و جميع من حولها و حفرت السيدة نفيسة قبرها بيديها و كانت تجلس فيه و تقرأ القرآن حتي أتمت فيه ستة الاف ختمة و تصلي فيه و تقرأ في المصحف و تبكي بكاءا شديدا كما حجت اكثر من ثلاثين حجة اكثرها مشيا و كانت تتعلق بأستار الكعبة و تقول الهي و سيدي و مولاي و متعتي فرحني برضاك عني ولا تسبب لي سببا يحجبك عني و من كرامات السيدة نفيسة ايضا أن جارة يهودية تركت ابنتها المشلولة عندها لما ارادت ان تذهب الي الحمام ثم توضأت السيدة نفيسة فجري ماء وضوئها الي البنت فأخذت منه شيئا بيديها و مسحت به علي رجليها فوقفت البنت و شفيت تماما فأسلمت الام و زوجها و بيتها و جملة كبيرة من جيرانهم اليهود اي انها تسببت في اسلام اسرة يهودية كاملة و بعض جيرانهم ايضا و كذلك شكوا اليها مره ان النيل لم يفض في عام فأعطتهم قناعها و قالت ألقوه في النيل ففاض و كذلك كانت هناك امرأة ذمية أسر ابنها فأتت للسيدة نفيسة لتدعوا لها فلما دعت لها فرد الله عليها ابنها فأسلمت المرأة و ابنها ايضا .

وفاتها

توفيت في رجب 208 هجريا بعد ان اصابها المرض و ظل يشتد عليها توفيت في مصر 208 هجريا و كان يوم دفنها مشهودا اذدحم الناس لتشييعها و لما اراد زوجها ان ينقلها الي المدينة ليدفنها فيها تجمع اهل مصر و رفضوا خروجها من بلدهم و ألحوا عليه أن تدفن في مصر حيث كانت تريد بدليل انها حفرت قبرها بيديها و لكنه اصر علي ان ينقلها فرأى النبي صلي الله عليه و سلم في منامه يقول له يا اسحق لا تعارض اهل مصر في شأن دفن نفيسة فإن الرحمة تنزل في اي مكان فتراجع



عن اصراره علي نقلها ووافق أن تدفن في مصر وقبرها و مسجدها معروف بالقاهرة و هو مقصد الزائرين و المحبين لآل البيت من كل مكان و الدعاء في مسجدها معروف بالاجابة و الدعاء في مساجد الصالحين فيه اجابة بإذن الله تعالي

ذريتها

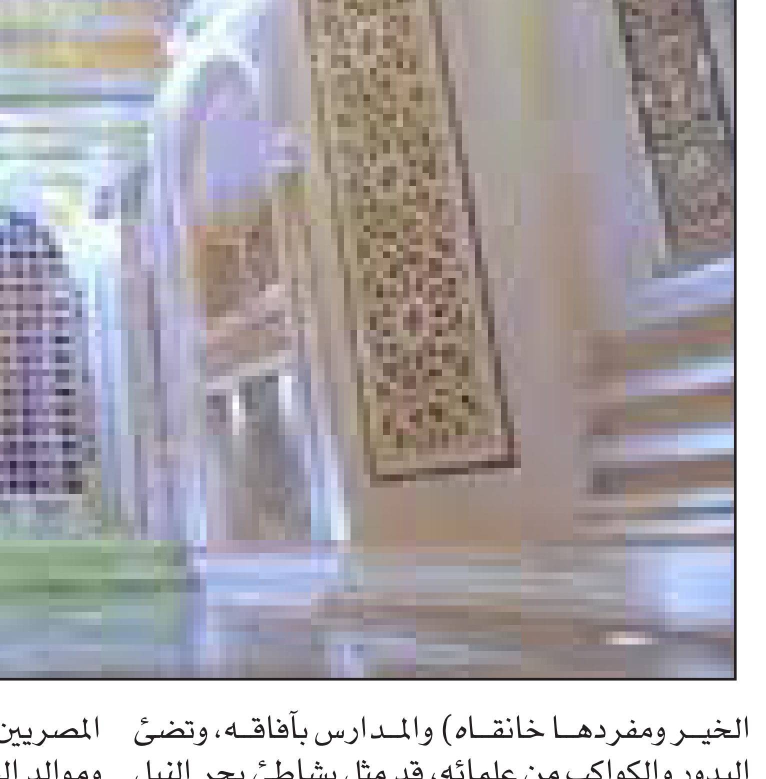
رزقت السيدة نفيسة من زوجها اسحق المؤتمن بولد و بنت اما الولد فهو القاسم بن اسحق المؤتمن و اما البنت فهي أم كلثوم بنت اسحق المؤتمن و هما ذرية صالحة من اسرة صالحة اشتهرت بالتقوى و الورع و الكرامات اما مسجدها الشهير الان الذي يعد قبلة المحبين و المريدين فنظرا لكثرة زوار المسجد من جميلع الانحاء تم بناء بناء المسجد الجديد 1989 ميلاديا لتوسعته و كذلك الصحن سنة 1992 ميلاديا و المسجد دائما في حالة زحام و يفد اليه الاعداد الكثيرة لانه عامرا بالقراءة و الصلاة و الروحانيات العالية و المصريون لهم فيه اعتقاد عظيم باذن الله عز وجل.

من سمات شخصياتها ايضا انها كانت تقية ورعة صابرة خاشعة سخية تحب الخير للناس و ترغي ﵟ خدمتهم و قد اكرمها الله تعالي ببعض المناقب و امدها بالكرامات

قاهرة المماليك والعثمانيين بعيون ابن خلدون وأوليا جلبي



إعداد :
د/ نصر محمد نصر



الرحلة هي أحد أهم مصادر كتابة التاريخ، وعلى مر العصور كانت مصر جاذبة للرحالة العالميين، من أجل السياحة بها وأكتشاف آثارها وعاداتها وتفاصيلها، وقد أُسروا بجمالها حتى أن البعض منهم عشقها عشقاَ لدرجة الجنون بها ، حتى أن بعض هؤلاء الرحلة لم يستكمل رحلاته وأختار البقاء فى مصر بل أن بعض الأجانب قد وصل عشقه للقاهره أن غير اسمه لاسم عربي وعاش حياة المصريين بل وأنجب أبناء صاروا مصريين المولد والطباع. وقد خصصنا هذا المقال لأثنين من هولاء الرحالة فى عصرين مختلفين المملوكي والعثماني لنري أنه على رغم اختلاف العصرين إلا أن القاهرة كانت كما هى على مر العصور لها سحرها الكامن فى ذاتها يأخذ بالألباب ويسلب صواب العقول .

ابن خلدون فى مصر

كانت حيـاة ابن خلدون مليئة بالأحداث، وجاب العالم الإسـلامي من غربـه إلى شـرقة في الشـطر الأول من حياته ، وتنقـل بين مدنه العامرة من ابتـداءا من تونس مسـقط رأسه إلى غرناطة، وإشـبيلية بالأندلس، مروراً بفاس وتلمسـان وبسـكرة ووهران بالمغـرب العربي، ثم الإسـكندرية والفيـوم والقاهـرة بمصـر، ودمشـق في الشام.

غير أنه لم ينبهر بأي مدينة زارها قدر انبهاره بمدينة القاهرة، ولم تطل إقامته بمدينة قدر إقامته بالقاهرة، ولم تنعم حياته بالاسـتقرار والسـكينة والهـدوء إلا في جنباتها، حيث كانت حياتـه قبل مجيئه للقاهرة عرضة لتقلبات وأزمات شتى، سردها بنفسه في كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً.

وصـل ابن خلـدون القاهرة فـي عـام 1382ميلادية ، الموافـق لعام 784 هجرية، وكان ذلك في عهد السـلطان المملوكـي «الظاهر برقوق» ولم تكن القاهرة مقصده في الأسـاس، وإنما كان متجها للحجاز لأداء فريضة الحج، ولـما دخلها انبهر بها إيما انبهار، وقال فيها كلاما أقرب للشعر من فرط إعجابه بها.

كتـب ابـن خلـدون (فانتقلـت إلـى القاهـرة أول ذي القعدة، فرأيت حاضرة الدنيا وبسـتان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشـر، وإيوان الإسلام وكرسي الملك، تلوح القصور والأواويـن في جوه، وتزهر الخوانق (وهـي مسـاكن الصوفيـة المنقطعين للعبـادة وأعمال الخيـر ومفردهـا خانقـاه) والمـدارس بآفاقـه، وتضئ البدور والكواكب من علمائه، قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة،ومدفع مياه السـماء، يسـقيهم النهل والعلل سـيحه، ويجبى إليهم الثمـرات والخيرات ثجة، ومررت في سـكك المدينة تغص بزحام المارة، وأسـواقها تزخر بالنعم)

ثـم يسـتطرد قائلا:(وما زلنـا نحَدِّث عن هـذا البلد، وبُعـد مداه في العمران، واتسـاع الأحوال، ولقد اختلفت عبـارات من لقينـاه من شـيوخنا وأصحابنـا، حاجّهم وتاجرهـم بالحديـث عنـه، سـألت صاحبنـا قاضـي الجماعـة بفـاس، وكبير العلمـاء بالمغرب: أبـا عبد الله المقرمي، فقلت له كيف هذه القاهرة؟ فقال من لم يرها لم يعرف عز الإسلام.

وسـألت شـيخنا أبا العباس بـن إدريس كبيـر العلماء ببجايـة مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من الحسـاب، يشـير إلى كثـرة أممه، وأمنهـم العواقب، وقـال الفقيه القاضي أبو القاسـم البرجي عندما سُئل عن القاهرة، وكان في حضرة السـلطان أبي عنان: (أقول فى العبـارة عنهـا على سـبيل الاختصـار: إن الذى يتخيله الإنسـان فإنما يراه دون الصورة التى تخيلها، لا تساع الخيال عن كل محسـوس، إلا القاهرة ، فإنها أوسع من كل ما يتخيل فيها؛ فأعجب السلطان والحاضرون بذلك)

تلـك كانت صورة القاهرة كما وصفها ابن خلدون منذ أكثر من سـتمائة عام، كانت جوهـرة الدنيا في العصور الوسـطى، وسـتظل القاهرة رغم كل شـيئ قلـب الأمة العربية، ودرة تاجها.

أوليا جلبى فى مصر

ان دافـع الرحّالة التركـي أوليا جلبي للقيام بأسـفاره الطويلـة إلـى مصـر هـو مـا سـمعه وقـرأه عـن مصر وحضارتها وكنوز آثارها الفرعونية والإسلامية، وأهمية موقعها ومركزها المتميز ضمن الدولة العثمانية.

كما كان ثمة دافع شـخصي قوي جـدا بالرحالة جلبي إلـى المجـيء إلـى مصـر، وهو أنه سـمع عن مستشـفى «بيمارستان» قلاوون في مصر ومهارة أطبائها في شفاء مرض العنّة الذي أُصيب به وتسبّب في عدم زواجه طوال حياته، وقـد عالجه بالفعل أطباء المستشـفى القلاووني بـ»الترياق الفاروقي» ويقال إن العلاج أتى بفائدة كبيرة مما جعله يستبشر خيرا بمصر وأرضها وأهلها، ...

...المصريـة في العام الماضـي 2016م، أنه تناول الفرق العسـكرية العثمانية في مصـر «السـناجق»، والقواعد الإداريـة التـي كان ينتهجه ديوان مصـر، وحاكم مصر العثمانـي «الوالـي» أو «الباشـا»، كمـا وقـف -وهذا هو المهم- على مدارس القاهرة ودور القراءة والحديث التي أنشـأها الحكام والسلاطين السـابقين، وكيف أصبحت كما شـاهدها، وتناول التكايا والزوايـا التي كانت مأوى المتصوفة والدراويش.

ولـم يفتـه أن يطيل الوصـف في طبوغرافيـا القاهرة العثمانية حينذاك، فقد وصف الخانات والمستشـفيات، والأسـبلة والخلجان والبرك والعيون والآبار والجسـور، ووصف أحياء القاهرة وما اتصف به كل حي من صفات، كما تناول المهن والحرف وأصحابها وأنشـطتها، وبعض العـادات الاجتماعيـة التـي شـاهدها مثـل احتفـالات المصريين وعاداتهم في شهر رمضان، والمحمل الشريف، وموالد الصوفية، والمأكولات والمشروبات التي وجدت في مصر حينذاك ولم توجد في إسطنبول.

ولـم تكن رحلة أوليا جلبي إلـى مصر فقط، فقد ذهب إلى السودان والحبشـة، وعاد إلى مصر من الحبشة في ربيـع الأول 1092هـ/ مـارس (آذار) 1681م؛ حيث ظلّت القاهـرة العثمانيـة، وبالرغم من تحولهـا إلى عاصمة إحـدى ولايات الدولـة العثمانية، فقد ظلـت ذات أهمية كبـرى، بل ظلـت تُعد ثاني أهـم مدينة بعد «إسـتانبول» عاصمـة الدولة، وسـاعدها علـى الاحتفـاظ بأهميتها استمرار مكانتها التجارية كنقطة عبور رئيسية للتجارة الشـرقية، بالرغم من اكتشـاف رأس الرجاء الصالح، هذا إلى جانـب أنها احتلت مركـزًا محوريا في التجارة العثمانيـة الداخلية، فضلا عن كونهـا كانت مركزًا من مراكز تجمع قوافل الحج.

و كان لتوافـد الحجـاج مـن شـمال أفريقيـا مـرورًا بالإسـكندرية والقاهـرة دورا كبيـرا في تنامـي المراكز التجاريـة الرئيسـة المنتشـرة حـول القصَبة (الشـارع الرئيسـي للقاهـرة) في قلـب القاهـرة الفاطمية التي تضاعفت مساحتها من 66 إلى 130 فدّانًا، ومن تضاعف عدد الـوكالات التجارية من 58 وكالة فـي نهاية العصر المملوكي إلى 360 وكالة في العصر العثماني.

ويؤكـد المؤرخ أيمن فؤاد سـيد أن القاهـرة لم تتدهور إطلاقًـا خلال القرون الثلاثة في ظـل الحكم العثماني، حتى أضحت في القرن الثامن عشـر أكثر اتساعًا وأكثر سكّانًا من أيّ فترة سابقة في تاريخها.

القاهرة بعيون أوليا جلبى

إن أكثر ما اندهش له أوليا جلبي هذه الكثرة في تعداد سـكان القاهرة، وهو يروي لنا سبب تسميتها أم الدنيا؛ لأن «القحط والغلاء إذا عما الدنيا كلها وسادا فيها، فإن مصر هذه تموّن الدنيا حسبما خلقها الله لهذا الغرض، وبالعكس إذا أصاب القحط والغلاء مصر، فإن محصول ألف مدينة لا يكفيها».

وقد رأى جلبي مصر «بحـر الخلائق، وخزينة الناس، ومنبـع الجماعـات»، وبالرغم مـن الطواعـين الكثيرة التـي لحقت في مصر في العصريـن المملوكي والعثماني حتى زمن رحلة أوليا جلبي سـنة 1672/1082؛ فإن تعداد السـكان لم يتأثر بهذه الطواعين التـي حصدت الأرواح حصدًا؛ «ومع ذلك فقد كانت الشـوارع مليئة بالسـكان، ومزدحمة بالناس، يمشون كتفًا بكتف في أسواق مكتظّة بالمترددين».

أما وسيلة المواصلات التي كان يعتمد عليها المصريون للتنقـل داخل القاهـرة الواسـعة الأرجـاء حينذاك، فقد كانت بواسـطة الحمير، ويُدهـش أوليا جلبي لهذا العدد الكبيـر مـن الحمير في مصر، يقول: «حقـا إن في مصر لحميـر كثير يـكاد المرء يظن أنها مسـتولية علـى البلد من كل الجوانب؛ إذ يسـمعُ من الحمّارين أصواتًا ترتفع وتقـول: ظهرك جنبـك، وجهك، يمينك، يسـارك..وأول مقام موسيقي تسمعه في مصر صباحًا هو نهيق الحمير في مقام «السيكة»؛ لأن حمارًا واحدًا إذا نهق في اصطبل من الاصطبلات نهقت جميع الحمير في البلد»!

لقـد رأى جلبـي فـي القاهـرة أعراقًـا مـن البشـر لا تُحصى، وكيـف لا وقد ورث العثمانيـون تركة المماليك، وهـم طوائـف شـتى جـيء بهـم من بلاد وسـط آسـيا والقوقاز وروسـيا والكُرج وغيرهم، «فتربـوا في كنفها، وتدرجوا في مضمار المعـارف والفنون والآداب والكمال حتـى صـاروا ذوي مكانـة واعتبـار». فظل لهـؤلاء المماليك مكانتهم - رغم الهزيمة من العثمانيين- بل سـرعان مـا عاد المماليـك مرة أخرى كأقـوى الفرق العسكرية، وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن ...

...الحكم العثمانـي، بل تنوعت الأعـراق في الدرجات الاجتماعيـة الأدنـى، ورأى أوليـا جلبـي «أن فـي مصر سبعين شعبًا، ويتكلم فيها مائة وأربعون لغة»، وذكر بعض هذه اللغات التـي أثرت التنوع الثقافي والسسـيولوجي/ الاجتماعي في مصر آنذاك، حتى إنك لتكاد تتخيل مصر فـي العصـر العثماني طبقا لوصـف الرحالـة العثماني أوليـا جلبي متحفًا أو معرضًا كبيـرا حيًا متنوع الأعراق والألـوان والمشـارب والثقافات مـن الشـمال والجنوب والشرق والغرب!

الأزهر درة جوامع القاهرة

أما مساجد القاهرة التي زارها أوليا جلبي؛ فقد أخذت بلبّـه، ورأى أنـه لا يوجـد في زمنـه مثلها كثـرة وعظمة واتساعًا، يقول: «بمصر ستة وخمسون ومائة جامع بناها السـلف من السلاطين، ولم يخلف ملوك وسلاطين بلاد الروم والعرب والعجم، بل بلاد المسلمين قاطبة، جوامع عظيمة بهذا القدر، فكل جامع يُشبه جنة».

وأعظـم جوامـع مصر كما رآهـا أوليا جلبـي، الجامع الأزهر، فـ«ليس في مصر جامع له ما للأزهر من جماعة؛ إذ هـو واقع في عين فعل مصر، فهو مزدحم بالناس ليلاً ونهارًا، فلا تجـد فيه موضعًا للسـجدة، يجتمع فيه اثنا عشـر ألف طالب ليل نهـار، وتطن أصواتهـم كأصوات النحل، مما يدهش الإنسـان، وقد انهمكوا في مباحثات علميـة».. وهـذه المكانـة الكبيـرة والمتميـزة التي حظي بهـا الأزهر في مصـر العثمانية كما أقـر أوليا جلبي لها أسـبابها الجوهرية التي تعود إلـى أن القاهرة ذاتها قد حظيت بمكانة متميزة داخل الدولة العثمانية باعتبارها أهم مركز ثقافي في المشرق العربي، وقد أسهم اختلاف اللغة عن مركز الخلافة العثمانية في إسطنبول في دعم القاهـرة كمركز رئيـس للفكـر والثقافـة العربية، هذا فضلا عـن موقع القاهرة الجغرافي الذي كان يسـتقبل كل عـام وفود الحجيج من المغاربـة والأفارقة، وقد صار لهـؤلاء أروقة مخصصة لهم داخـل الجامع الأزهر، وقد تمتعـت القاهـرة بحرية مذهبيـة كبيـرة اجتذبت إليها الباحثين وطلبة العلم ممن أرادوا التخصص في مذهب أو مذاهـب مختلفـة، يضاف إلـى ذلك التنـوع العرقي الـذي أقر بـه جلبي من الأتـراك والجراكسـة والمغاربة والأفارقة والشـوام وغيرهم.. كل هـذه العوامل أدت إلى صعود مكانـة الأزهر في ذلك العصـر، وإلى هذا العدد الكبير مـن تلاميذه وطلبته، وإذا أضفنـا إلى ذلك قول جلبي نفسـه إن «أوقاف الأزهر أقوى الأوقاف في القطر المصري» وهي الموارد المالية التي كانت تدر ريعا وأرباحًا ثابتـة كل عـام وقـد أوقفهـا السـلاطين والتجـار وأهل الخير، عرفنا سـبب هذه المكانة الكبرى للجامع الأزهر منذ ذلك العصر وحتى اليوم.